الغرب وظاهرة الإسلاموفوبيا

(المفهوم . النشأة . الأسباب . المظاهر . النتائج)

إعداد الدكتور/عثمان محمد دفع الله علي القُرجُي[١]

المستخلص:

لم تمنع كثرة القراءات وتعدد التحليلات والتفسيرات لطبيعة العلاقة القائمة بين الإسلام والغرب من الاتفاق على أن هذه العلاقة شهدت فصولًا ليست بالقصيرة من الصراع والاحتقان، وصلت في كثير من الأحيان إلى المجابهة العسكرية. وما كان من جوانب مضيئة في هذه العلاقة فقد بقي استثناء من القاعدة؛ لأن نقاط الاصطدام والمواجهة تفوقت كمًّا وكيفًا على نقاط التلاقي منذ ظهور الإسلام إلى اليوم هذا، في فصل جديد من فصول تأزم هذه العلاقة، شهدت المجتمعات الغربية في الآونة الأخيرة موجة من الممارسات العنصرية، وأشكالا من العداء والتمييز ضد الإسلام والمسلمين، تم إدراجها تحت مسمى (الإسلاموفوبيا) أن هذا البحث يرصد العديد من الوقائع التي تشهد بكراهية الغربي للمسلمين والعرب والخوف منهم كما ينعكس عبر الواقع الذي يحياه المهاجرون العرب من تمييز في الدول الغربية.وينقل كذلك وقائع تركز عليها وتستغلها الآلة الإعلامية الغربية لتأكيد تلك الصورة الذهنية السلبية المنطبعة حول العرب والمسلمين والتي أدت إلي تشكيل واتساع ظاهرة الإسلاموفوبيا أو الخوف المرضي من الإسلام إلا أنه رغم رصده لهذه الوقائع التي قام بها عرب ومسلمون واكتفي الإعلام الغربي بنقلها وتضخيمها يري الباحث ان الخوف الغربي من المسلمين خوف غير مبرر، وان كان يرصد ببراعة ازدواج المعايير التي يتعرض له نقد الإسلام والسخرية من رموزه وأتباعه. ولا ينفي الباحث مسئولية المسلمين أنفسهم عن هذه الصورة الذهنية المنطبعة عنهم وان لم يعز ذلك إلي ممارستهم وخطابهم الذي يتم تصديره محملا

---

[١] أستاذ مساعد كلية الدعوة الإسلامية – جامعة ام درمان الإسلامية.

بالعدوانية والكراهية والتي تقوم مؤسسات كبري في الغرب علي رصده وتسجيله.وتطرق الباحث لما قاله فلاسفة الغرب عن الإسلام والمسلمين مع توضيح الحلول التي تقارب بين هذه الفجوة.

Abstract:

Multiplicity of analyzes and interpretations of the nature of the relationship between Islam and the West did not prevent them from agreement. This relationship has seen for quite some time chapters of conflict and tension , arrived at to military confrontation at sometimes. The illuminated aspects of this relationship have been the exception to the rule because the collision points and confrontation excelled in quality and quantity on the points of convergence since the advent of Islam to this day. In a new chapter of the worsening of this relationship , the Western societies have seen recently wave of racist practices , and forms of hostility and discrimination against Islam and Muslims. Such practices have been listed under the name of Islamophobia. This search reports many of the facts that attest western hatred for Muslims and Arabs and the fear of them , as reflected through the reality we live, Arab immigrants suffer from discrimination in Western countries. Also, it reports and focuses on the facts which exploited by European media to confirm that the mental image of the negative impression about Arabs and Muslims, which led to the formation and expansion of the phenomenon of Islamophobia or Islamophobia. However, the research reports these deeds which were carried out by Arab and Muslims, that western media has exaggerated them. The researcher views that the western phobia from Muslims is not justified at any case. Despite the fact that the study reports the double standards of western criticism of Islam and its scholars, it does not deny the responsibility of Muslims for this distorted mental image from westerners. It did not attribute to the Muslims practices and their rhetoric which are monitored with aggressiveness and hatred by big organizations in the West.. The researcher reports what philosophers of the West said about Islam and Muslims.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آلة وصحبه من دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد: كل يوم يخرج علينا الغرب بإساءة إلى الإسلام، أو نبي الإسلام، وتاريخ الإسلام، لقد استحكم مرض الإسلاموفوبيا بالسياسة الغربية تُجاه الإسلام، والساسة الغربيون يعترفون مع شيء من الدَّهشة والحيرة أنَّه فعلاً هناك ما يُخيف في الإسلام كدين كاسح له قابلية التنامي، والانتشار بسرعة مذهلة فقد كثر الكلام عن انتشار ظاهرة خوف الكفار من الإسلام، وخوف الاتجاهات العلمانية من الحكم الإسلامي، وقام بعض المسلمين بنشر خطاب دعوي، عن الإسلام وتعاليمه ما يحاول به طمأنتهم، وإزالة شعور الخوف والقلق من نفوسهم.

المبحث الأول

مفهوم الغرب والإسلاموفوبيا

أولاً: مفهوم الغرب:

أن الغرب لم يَعُدْ تلك الجهة الجغرافية، التي تقع شمال البحر الأبيض المتوسط وغربه الشمالي، أي أن الغرب اليوم مفهومه ليس محصورًا على أوروبا وأمريكا، بل الغرب يعني أفكارًا وثقافاتٍ وأنماطَ حياة، إذا ما ذُكرت بمصاحبة كلمة الإسلام أُريد بها ما يناقض الإسلام ويتعارض معه، بل ربما يراد بها أكثر من ذلك، إذا ما نظرنا للتحديات التي يواجهها المسلمون من مفهوم الغرب.

ولا يكتفي مفهوم الغرب الجديد في التوسع شرقاً حتى حدود الصين واليابان ووسط آسيا (حيث امتداد روسيا) بل إنه يضرب إلى الجنوب الأمريكي حتى القارة الجنوبية المتجمدة حيث يتضمن الأميركيتين: الوسطى، والجنوبية. وهناك أيضاً تسود المسيحية الكاثوليكية التي مقرها في روما، ويسود العنصر الأبيض حتى وإن وجدت الأعراق والعناصر الأخرى بكثافة عددية أكبر: من زنوج ومخلطين في البرازيل، أو هنود في البلدان الأخرى. لكن ارتباط هذه القارة بالتاريخ الأوروبي، والمنحى العام للحضارة الغربية قد ترسخ منذ (اكتشافها) (حسب الزعم الغربي) في القرن الخامس عشر الميلادي، ويعاد اكتشاف هذا الإقليم الآن بثرواته وإمكاناته الهائلة ليُدرج في صف الحضارة الغربية بعد أن كانت بعض تصنيفات الفكر اليساري الغربي تضعه في خانة (العالم الثالث) ثم (الجنوب) في مواجهة (العالم الأول) أو (الشمال) وهو (الغرب). وبالطبع فإن أستراليا ونيوزيلندا في أقصى الشرق، وإلى الشرق حتى من الخصم الجديد للحضارة الغربية (الإسلام والصين

الناهضة أو الكتلة البوذية... إلخ) تقع هي الأخرى ضمن صف الحضارة الغربية الذي تنشئه مقولة صِدام الحضارات[٢].

ومن المهم فهمُ الغرب بهذا المفهوم، لمصلحةٍ تكمن في عدم الرغبة في حصر الإسلام بالشرق، في مقابل كلمة الغرب، والإسلام اليوم في كل مكان، بما في ذلك الغرب الجغرافي، بل إنه هناك في نمو مطّرد، يشهد عليه الإقبال المتزايد من الغربيين ذكورًا وإناثًا، بمختلف خلفياتهم العرقية والعنصرية. ولم يكن الإسلام يومًا محصورًا بالمكان، ولن يكون كذلك.

وعليه فإن الحديث عن الغرب قد يُقصد من ورائه الحديث عن أولئك الذين يتبنَّون الفكرة الغربية في النظر إلى الإسلام، وإن كان الناظرون إليه في أقصى الشرق، بل إن كان الناظرون إليه في الوسط، حيث يتركز المسلمون العرب في الجزء الغربي من قارة آسيا، والجزء الشمالي من قارة أفريقيا، دون التحديد الدقيق لهذه الأجزاء.

ومن ناحية أخرى لا يعني الغرب، جغرافيًا، مناهضة الإسلام، فليس كل الغربيِّن يضمرون العداء للإسلام والمسلمين، بل إن فيهم المتعطِّشين إلى الحق، متى ما وُفّق أهله إلى تقديمه، تقديمًا صحيحًا سليمًا، من حيث المضمونُ وأسلوبُ التقديم، ولذا فلا أصل لنظرة البعض في رفض كل ما هو غربي، وافتراض أنه يضمر للإسلام والمسلمين العداء.

ثانياً: مفهوم الإسلاموفوبيا

الإسلاموفوبيا (Islamophobia)هو لفظ أو مصطلح يتكون من كلمتين: (إسلام . فوبيا)، الفوبيا في السيكولوجيا هي خوف مرضى يسيطر على وجدان الانسان الذي يعانى منه، لكن الإسلاموفوبيا هي صوره نمطية مسبقه عن الإسلام

[٢] مجلة البيان . العدد(١٢٦) . في دائرة الضوء . صراع الحضارات مرة أخرى . د. محمد يحيى . ص٩٢.

و المسلمين تخلق كراهية و عداء للإسلام والمسلمين وتروج لها في المجتمعات الغربية أجهزة الإعلام للإثارة أو التوظيف السياسي والحركات العنصرية المتطرفة و الأحزاب والمنظمات اليمينية المتطرفة بهدف تخويف الناس من زيادة عدد المسلمين في المجتمع الغربي، ولتبرير الحروب العسكرية التي يشنها الغرب على بلاد المسلمين، ومن تعريفات الإسلاموفوبيا:

١.الإسلاموفوبيا هو كل تصرف سلبى مادى أو معنوي موجه الى أشخاص مادية او معنوية تتميز بصفة إسلامية ويكون السبب الوحيد لهذا التصرف هو تلك الصفة الاسلامية المشار إليها [٣]..

٢.إن الإسلاموفوبيا هي (خوف، أو كراهية، أو عداء مبالغ فيه ضد الإسلام والمسلمين، وتقوم على صور نمطية سلبية، وتؤدي إلى التحيز ضد المسلمين والتمييز ضدهم وتهميشهم وإقصائهم من الحياة الاجتماعية والسياسية والعامة)[٤].

٣.يستخدم علماء الاجتماع كفيلهلم هايتماير مصطلح الإسلاموفوبيا جنبا إلى جنب مع ظواهر مثل العنصرية وكراهية الأجانب ومعاداة السامية أو حتى ظاهرة كراهية مجموعات من الناس كما هو الحال أن تكون في موقف سلبي من عامة الشعب المسلم ومن جميع الأديان والرموز الدينية، وممارسات الشعائر الإسلامية[٥].

---

[٣] محمد عرفات سليمان . إسلاموفوبيا . ٢٦/يناير/٢٠١٠م . مقال منشور علي شبكة الإنترنت.

[٤] علاء بيومي . جزور شبكة الإسلاموفوبيا . مقال منشور علي شبكة الإنترنت . بتأريخ ٢٠١٢/١/١٢م.

[٥] أنظر لبعض الكلمات المتعلقة „كراهية مجموعات من الناس ذات صلة فيما بينها“ ومصطلح “Islamophobie„ لذى Institut für interdisziplinäre Konflikt- und Gewaltforschung.

٤.تعريف آخر مفصل: حسب تعريف البريطاني رونيميد تروست، هو موقف إسلاموفوبي في مجموعة متنوعة من الآراء التي يُعرّف عنها الإسلام هو كتلة وحدانية معزولة، جامدة وغير مستجيبة للتغيير[٦]:

أ. الإسلام كتلة وحدانية معزولة، جامدة وغير مستجيبة للتغيير.

ب. الإسلام مميز وغريب، وليس لديه قيم وأهداف مشتركة مع الثقافات الأخرى، لا يتأثر بها، ولكنه يؤثر فيها.

ت. الإسلام أدنى من الغرب، وحشي غير عقلاني، بدائي ومتحيز ضد النساء.

ث. الإسلام دين يتسم بالعنف والعدوانية، تهددي، يدعم الإرهاب وفعال في حرب الثقافات.

ج. الإسلام هو الأيديولوجية السياسية، تستعمل لأهداف سياسية أو عسكرية.

يقول محمد علي الخالدي: ((إنَّ الإسلاموفوبيا مصطلح أكثر شيوعًا من الاستشراقية. (الإسلاموفوبيا)، وقد عُرِّب مصطلح الإسلاموفوبيا إلى (التخويف من الإسلام والمسلمين)، الذي يُعرَّف بأنَّه (الفزع من الإسلام أو كرهه، والخوف من المسلمين أو كرههم)، ويعتقد كثير من الخبراء أنَّ هذا المصطلح غير دقيق، ولا يعبِّر بصدق عن أنواع التمييز ضدَّ المسلمين. ووضعه الأوروبيون على غرار مصطلح (اللاسامية)، وهي ظاهره تمييزية أوروبية تختلف تماماً، في أجواء انبثاقها، عن نوعية العلاقة بين الإسلام والغرب. وعرَّب بعض الباحثين الإسلاموفوبيا اختصارًا بـ (إرهاب الإسلام)، ضمن ما يعتقد أنَّها سياسة حكومية تستهدف إقناع المجتمع الغربي، بوجود تناقُض صارخ مع الإسلام، حسب مقولة أنَّ الإسلام هو الخطر الجديد القادم نحو البلدان الغربية من الشرق، بعد سقوط

---

[٦] Islamophobia: A challenge for us all ملخص في ملف (PDF).

المعسكر الاشتراكي، كما عبَّر عن ذاك الأمين العام السابق للحلف الأطلسي في بداية التسعينيات))[٧]..

إن مفهوم (الإسلاموفوبيا) والذي يمثل أبلغ دلالة على الموقف العام في الغرب تجاه العرب والمسلمين حيث يعكس بشكل عام انتشار نزعة العداء للمسلمين، وهذه الظاهرة صنعها الإعلام الغربي الذي تملك غالبيته منظمات يهودية، وساعد أيضاً في صناعتها بعض الساسة الغربيين، حيث استثمروا فزاعة الإسلام والتخويف منه، لتحقيق أغراض انتخابية.

ولعل أبلغ تعبير عن وضعية الإسلام في الإعلام والإدراك الغربي ظاهرة (الإسلاموفوبيا) وهي الكلمة التي دخلت قاموس السياسة الأوروبية وتحولت إلى مفردة لها معان محددة في عصرنا كما حصل في القرن التاسع عشر مع مفردة اللاسامية وتحت مفردة (الإسلاموفوبيا) وهي كلمة يقصد بها (الإرهاب الإسلامي)كمصطلح لمعنى الخوف من الإسلام بدأت تعقد المؤتمرات السياسية وتدار الندوات الفكرية لمعالجة مواضيع المخاوف من الإسلام وأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

المبحث الثاني: جذور نشأة ظاهرة الخوف من الإسلام وكراهيته (الإسلاموفوبيا)

موضوع الإسلام والغرب أو العالم الإسلامي وأوضاع المسلمين في الغرب شغل اهتماماً كبيراً في العقود الماضية وخاصة منذ نهاية السبعينات، وقد نشطت تلك الموجة مطلع الألفية الثالثة للميلاد[٨]، وذلك الاهتمام يرجع لاعتبارات متعددة، منها بروز الثورة الإسلامية الإيرانية ١٩٧٩م، والجهاد في أفغانستان

---

[٧] انظر: محمد علي الخالدي. إنسان بأصوات متعدِّدة.. http://www.mafhoum.com/press٦/١٦٤C٣٧٢.htm

[٨] معتز الخطيب . الغضب الإسلامي ! تفكيك العنف...دراسة نقدية . (دار الفكر:دمشق) ص١٠٩.

١٩٨٠م، وقضية سلمان رشدي ١٩٨٦م، ثم حرب الخليج ١٩٩١م، والحرب في يوغسلافيا السابقة ١٩٩٢م، وبروز الإسلام عاملاً سياسياً في العالم الإسلامي[٩].

عليه نتناول جذور نشأة ظاهرة الخوف من الإسلام وكراهيته (الإسلاموفوبيا) في الآتي:

أولاً:تاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب

ثمة تاريخ طويل يحكم تلك العلاقة المتوترة والمتذبذبة، وقد تتبع مكسيم ردونسون (الصورة الغربية) عن الإسلام والمسلمين، وقسمها إلي محطات هي[١٠]:

١. العصور الوسطي التي تجلي فيها الصراع بين عالمين العالم المسيحي وعالم المسلمين، وذلك ما بين القرنين الثامن والثاني عشر الميلاديين.

٢. نمو وذبول صورة للإسلام أقل عداء فيما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين.

٣. التعايش السلمي والتقارب؛ العدو يصبح شريكاً، وذلك ما بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين.

٤. من التعايش السلمي إلي الموضوعية وذلك ما بين القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين.

٥. ينظر الي الشرق الإسلامي نظرة أخوية متفهمة في القرن الثامن عشر الميلادي.

٦.نزعة التعلق بالغرائب والامبريالية والتخصص في القرن التاسع عشر.

---

[٩] انظر: واصف شديد . و سجورد فان كوننغسفيلد . الصورة السلبية للإسلام والمسلمين في الغرب . (بيروت) مجلة الحياة الطبية . عدد(٢٠) ٢٠٠٦م . ص٤٥.

[١٠] انظر :مكسيم ردونسون . الصورة الغربية والدراسات الغربية الاسلامية . تصنيف تراث الاسلام . ترجمة السمهوري ومؤنس والعمد . ط٣(عالم المعرفة) ١٩٩٨م . ج١ص٣١.

٧.العصبية العرقية الاوربية تهتز في القرن العشرين.

أوجدت الحروب الصليبية حاجة كبيرة وملحة للحصول علي صورة كاملة ومسلية ومرضية لإيديولوجيا الخصوم، وكان رجل الشارع يرغب في صورة تبين الصفة الكريهة للإسلام عن طريق تمثيله بشكله الفج، علي أن تكون في الوقت نفسه مرسومة بشكل يرضي الذوق الأدبي الميال إلي كل ما هو غريب، وهو ميل يشكل سمة بارزة في جميع الأعمال في ذلك الوقت وهكذا أخذ الكتاب اللاتينيون علي عاتقهم بين عامي ١١٠٠م وعام ١١٤٠م إشباع هذه الحاجة لدي الإنسان العامي، وأخذوا يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد دون أي اعتبار للدقة[١١].

هكذا كانت العلاقة بين الغرب والشرق الإسلامي علاقة صراع في مسارها الرئيس، اكتنفته حروب وعمليات تشويه مقصود، حركها في بدايتها وإثناءها جدالات دينية لاهوتية، ثم تحولت في القرون الأخيرة إلي علاقة تفوق وهيمنة في ظل الاستعمار والإمبريالية[١٢]، وفي هذا السياق يمكن إدراج مقولة الخطر الإسلامي التي سادت في الثمانينيات والتسعينيات مع ذهاب الخطر الأحمر الشيوعي، وهو مالقي رواجاً في الكتابات والصحف حينها[١٣]، وصولاً لمقولة صدام الحضارات لهنتنغتون في منتصف التسعينيات، والتي يري فيها أن التصادم واقع بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية التي يمثلها الغرب الآن.

---

[١١] فرد دونر . اتجاهات الكتابة الغربية عن تاريخ الإسلام قراءة نقدية . (سلطنة عمان) مجلة التسامح . عدد(٨) ٢٠٠٤م . ص٢٣٨.٢٣٦.

[١٢] صوفي بسيس . الغرب والآخرون..قصة هيمنة . ترجمة نبيل سعد . ط١ (دار العالم الثالث: القاهرة) ٢٠٠٢م . ص١٩٠.

[١٣] انظر: برونس لورنس . تحطيم الأسطورة . ص٢٢. ٢٣،الذي ينتقد ذلك.

ولقد لقيت هاتان المقولتان نقداً شديداً من الشرق والغرب[١٤]، حتي وقعت أحداث ١١/سبتمبر/٢٠٠١م، فأعادت الجدل من جديد وبكثافة عالية، حول العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي، فظهرت مقولات (إنهم يكرهوننا) و(إنهم يكرهون العالم الحر) وصولاً لمقولة (الإرهاب الإسلامي) والربط بين الإسلام والإرهاب في حرب معلنة أطلق عليها (حرب الأفكار).

ثانياً:المسارات البارزة التي يمكن رسمها لتلك العلاقة

إن المسارات البارزة التي يمكن رسمها لتلك العلاقة تتلخص في الآتي:

١. الاهتمام الأوربي بالإسلام نشأ من الخوف من منافس للمسيحية يتميز بوحدته وصلابته وبقوته الجبارة ثقافياً وعسكرياً، وكان أوائل الباحثين الأوربيين في الإسلام (علي نحو ما بينه مؤرخون كثيرون) من أرباب المجادلات القروسطية الذين كتبوا ما كتبوه لدرء جحافل المسلمين التي تهددهم وخطر الارتداد عن الدين المسيحي، وقد استمرت هذه التوليفة من الخوف والعداء بصورة ما حتي يومنا هذا، سواءُ في الاهتمام العلمي أو غير العلمي بالإسلام، وهو الذي ينظر إليه علي انه دين ينتمي إلي منطقة معينة من مناطق العالم (الشرق) وهي التي غدت تمثل الثقل الموازن خيالياً وجغرافياً وتاريخياً لأوربا أو ضد أوربا والغرب[١٥].

---

[١٤] انظر: رضوان السيد . الصراع علي الإسلام . ط٢(دار الكتاب العربي: بيروت) ٢٠٠٥م . ص١٤٢، أما فيما يخص مقولة الخطر الإسلامي،فانظر مثلاً:فرد هاليداي . الإسلام والغرب.. خرافة المواجهة: الدين والسياسة في الشرق الأوسط،ترجمة عبدالاله النعيمي . ط١(دار الساقي:بيروت)،وجون أسبوزيتو . التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة ؟،ترجمة قاسم عبده قاسم . ط١(دار الشروق: القاهرة) ٢٠٠٢م.

[١٥] إدوارد سعيد . الاستشراق . ص٥٢٠-٥٢١، أما برنارد لويس فيقر بأن دراسة الإسلام كانت لهدفين: حماية المسيحيين من التحول إلي الإسلام، ولإرسال البعثات التبشيرية المضادة لتحول المسلمين إلي المسيحية، لكن مع انتهاء العصور الوسطي، أصبح جلياً تماماً أن الهدف الأول

٢. مسار برز فيه تأثير الفكر الأوربي بالفكر العربي، ثقافياً وعلمياً، وخاصة من خلال العلوم الطبيعية الفيزيائية والرياضيات والفلسفة، بل والصناعات والأدب وخاصة في اسبانيا وصقلية، خاصة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر[١٦].

٣. مسار برز فيه الصراع السياسي بين الطرفين، وأبرز المراحل دلالة عليه هيمنة العالم الإسلامي التي بدأت سنة ٦٢٢م واستمرت حتي سقوط غرناطة ١٤٩٢م، والحروب الصليبية وتهديد الإمبراطورية العثمانية لأوربا، ثم الاستعمار الغربي لأغلب العالم الإسلامي لاحقاً[١٧].

٤. مسار التفوق والهيمنة، والذي برزت فيه نزعة احتقار الآخر الشرقي، والتمركز الغربي حول الذات ونوازع الهيمنة علي الشرق بثرواته وثقافاته وناسه، وهو المسار الذي لا يزال مستمراً حتي الآن بشكل بارز، مع خفوت المسار العقدي اللاهوتي، يقول تييري هنتش:(الشعور بالتفوق بات طبيعياً جداً بالنسبة للأوربي لدرجة أنه من المستحيل عليه تقريباً أن يري أو أن يفعل من دونه، فهذا الشعور يلون كل موقفه بما في ذلك ما ينطوي عليه من حسن وفادة ومن تنوير)[١٨].

لم يعد له ضرورة وأن الهف الثاني يستحيل تحقيقه، برنارد لويس . الإسلام في التاريخ . ص ١٨٩.

[١٦] انظر: عبدالرحمن بدوي . دور العرب في تكوين الفكر الأوربي . ط١(مكتبة الأسرة: القاهرة) ٢٠٠٤م . ص١٢٣.

[١٧] معتز الخطيب . مقال بعنوان:(ظاهرة كراهية الإسلام..الجذور والحلول) . مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث . المجلد(٥) . العدد(١٧) ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م . ص٥٢.

[١٨] تيري هنتش . الشرق المتخيل:رؤية الغرب الي الشرق المتوسطي . ترجمة غازي برو، وخليل خليل . ط١(دار الفارابي: بيروت) ٢٠٠٤م . ص٢٥١.

عليه يمكن القول أن هذه الصورة بتشعباتها ومتغيراتها هدفنا منها إظهار هذه التعقيدات والمتغيرات التي كانت تبعاً لعوامل سياسية وثقافية وفكرية داخلية، أي داخل الغرب نفسه خلال تطوراته الفكرية، وخارجية جراء تبدل موازين القوي.

ثالثاً:الخوف الحالي من الإسلام ومصادره:

هنالك عدة عوامل لخوف الغرب من الإسلام ومنها:

١.الإسلام السياسي:

يعود هذا العامل إلي ثلاثينيات القرن العشرين، مع ظهور ما يسمي بـ(الإسلام السياسي) أو الحركات الإسلامية، مع الشيخ حسن البنا سنة١٩٢٨م[١٩]، فهذه الحركات قدمت الإسلام بمفهوم متجاوز لمفهوم الدين فقط، بل قدمته بوصفه (نظاماً شاملاً) اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وقضائياً، وبهذا يري الدارسون الغربيون أن الإسلام بهذه الصفة يتم تقديمه بوصفه أيديولوجية جديدة للمقاومة[٢٠]، يتناول الهوية والثقافة والدين معاً، وفي هذا التصور تهديد لمصالح الغرب الذي يقدم أنموذجه الحضاري علي أنه (نهاية التاريخ)، ويسعي إلي تنميط العالم وفق نموذجه، بما يحقق هيمنته الكاملة علي باقي العالم، خاصة أن مجمل هذه الحركات يسعي إلي الوصول إلي السلطة لإقامة (الدولة الإسلامية) وفي الواقع لا يفرق الباحثون الغربيون بين الحركات الإسلامية التي توصف جميعها بأنها (أصولية)[٢١].

---

[١٩] انظر: أوليفية روا . تجربة الإسلام السياسي . ترجمة نصير مروة . ط٢(دار الساقي: بيروت) ١٩٩٦م . ص٢٩.

[٢٠] انظر: واصف شديد، وسجورد فان . الصورة السلبية للإسلام والمسلمين في الغرب . مجلة الحياة الطبية، بيروت . العدد(٢٠) ٢٠٠٦م . ص٢٩.

[٢١] انظر: واصف شديد، وسجورد فان . الصورة السلبية للإسلام والمسلمين في الغرب . المصدر السابق . ص٢٨.

ويظهر هذا الخوف الهستيري في رأي البروفسور مشادور، قائلاً:(من يدري؟! رُبَّما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مُهددة بالمسلمين، يهبطون إليها من السماء لغزو العالم ثانية، وفي الوقت المناسب... لست متنبئًا، لكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة، ولن تقوى الذَّرة ولا الصواريخ على وقف تيارها، إن المسلم قد استيقظَ وأخذَ يصرخ: ها أنذا، إنَّني لم أمت، ولن أقبل بعد اليومِ أنْ أكونَ أداة تسيِّرها العواصم الكبرى ومخابراتها)[٢٢].

كما يعبر المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه (باثولوجيه الإسلام)، فيقول: (إنَّ الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكًا ذريعًا؛ بل هو مرض مريع، وشلل عام، وجنون ذهولي، يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه من الخمول والكسل إلاَّ ليدفعه إلى سفك الدِّماء والإدمان على معاقرة الخمور، وارتكاب جميع القبائح، وما قبر محمد إلاَّ عمود كهربائي يبعث الجنون في رُؤوس المسلمين، فيأتون بمظاهر الصَّرع، والذهول العقلي إلى ما لا نهاية، ويعتادون على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة، ككراهية لحم الخنزير والخمر والموسيقى، إنَّ الإسلام كله قائم على القسوة والفجور واللَّذات)[٢٣].

عليه يمكن القول إن إحدى مشكلات عداء الغرب التاريخي للنبي صلّى الله عليه وسلم، هو أنه جاء بنظام سياسي وفكري متكامل ينازع الغرب في المسلمات الأساسية، وكذلك في طرق التنظيم والإدارة وسياسة المجتمعات، وأخيرا في نمط العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع، وبين المجتمعات المختلفة. إنه ببساطة نظام متكامل مواز للنظام الغربي، ولا يلتقي معه، وإنما يقدم بديلا قويا وخطيرا له.

[٢٢] محمد البهي . الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي (دار الفكر – بيروت) ١٩٧٣م . ص١٨.

[٢٣] محمد جلال كشك . القومية والغزو الفكري (مكتبة الأمل)١٩٦٧م . ص١٩٦.

وكما يذكر أحد المفكرين العرب فإن الخوف من قوة الإسلام المحركة يأخذ في اللحظات التراجيدية شكل الدفاع والصراع والمشاجرة، أحد أكثر الأشكال الانفعالية في التاريخ. لقد أبرز مفهوم الإسلام السياسي كتهديد متواتر، ومفهوم الدين السياسي كبنية تاريخية في أصول الإسلام. يقول غولديسهر: (إن الإسلام قد جعل الدين دنيويا لقد أراد أن يا يبنى حكما لهذا العالم بوسائل هذا العالم)[٢٤].

لذلك هاجم المفكرون الغربيون بشدة المشروع الحضاري الإسلامي، واعتبروه خطيرا كبيرا يهدد سيادة الفكر الغربي وانتصار الحضارة الغربية، ونهاية التاريخ. ولم يبدأ هذا الأمر مع أحداث سبتمبر، أو مع نشوء فكرة صدام الحضارات أو نظرية نهاية التاريخ، وإنما سبق ذلك بقرون عديدة، واستمر يغذى الشخصية الغربية بمبررات العداء للعالم الإسلامي ولشخصية النبي محمد صلّى الله عليه وسلم.

٢. المسألة الثقافية:

يشغل البعد الثقافي في مكانة محورية في العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي، وهو ما يبتدي من خلال الصور السائدة لدي كل طرف عن الآخر، والكيفية التي يشكل بها كل طرف الآخر ويرسمه من خلالها، ولعل أبرز ما يمكن استدعاؤه هنا مقولتان ذاع صيتهما في السنوات الأخيرة، هما:أطروحة فوكو ياما عن نهاية التاريخ والتي يري فيها أن النموذج الرأسمالي الليبرالي هو أرقي ما يمكن أن تصل إليه البشرية، وما علي باقي العالم إلا الانضمام إليه، ومقولة هنتنغتون عن صدام الحضارات والتي يري فيها أن صراع الحضارات سيكون المصدر الرئيس للنزاعات في النظام العالمي الجديد، وسيكون هذا الصراع مقتصراً علي الثقافة الغربية من جهة، والثقافتين الإسلامية والكونفوشيوسية (في الصين وكوريا)

---

٢٤ حسين حسيني معدى . الرسول صلى الله عليه وآلة وسلم في عيون غربية منصفة . ط١(دار الكتاب العربي: دمشق) ١٤١٩م . ص٥٤.

من جهة أخري وعلي هذا فإن تلكما الثقافتين تشكلان خطراً علي الثقافة الغربية لأنهما لا ترغبان أو لا تستطيعان الانضمام إلي الغرب[٢٥].

وعلي هذا فالأطروحتان تعتمدان التأصيل الثقافي وإن كانت أهدافهما سياسية واستراتيجية، والإسلام فيهما يمثل . في الداخل كما في الخارج . في أيامنا الأيديولوجية الوحيدة الكفيلة بتغذية رفض جذري للهيمنة الغربية، من دون أن تستعير أسلحتها الفكرية من الغرب.

وقد أدت أحداث ١١ سبتمبر٢٠٠١م، إلي تمكن موضوع الصدام بين الحضارات من العقول، وأصبح يشكل بؤرة الاهتمام، بل إن البعض رأي:(أن الأحداث أدت إلي تعميم مفهوم صراع الحضارات في عالمنا، عن طريق نفي وجود هذا الصراع، حيث إن العدد الكبير من المفكرين ورجال السياسة الذين أكدوا في الأيام والأسابيع والأشهر التي تلت الاعتداء أنه لا يمكن أن يكون هنالك صراع حضارات بين الإسلام والمسيحية، يثبت بما فيه الكفاية أن هذا المفهوم البدائي يسكن عقول الجميع)[٢٦]، ونتيجة هذا الحدث أخذت الكتب التي تتحدث عن صراع حضاري حيز وسط الغربيين وروج لها.

هنالك من يذهب إلي أن المسألة لا تتعلق بصراع الحضارات ولا بالشبه بينها، وإنما تنبع من حاجة الغرب إلي عدو ولا غني عنه من أجل تأكيد وتعريف هويته الخاصة، وهنا يقع تفسير: لماذا دأب الغرب بعد سقوط الشيوعية علي تصوير

---

٢٥ صمويل هنتنغتون . صدام الحضارات . ترجمة: جميل حماد . ط٣ (بيروت، لبنان)١٩٩٨ م . ص٥٥.

٢٦ إيمانويل تود . ما بعد الإمبراطورية: دراسة في تفكك النظام الأمريكي . ترجمة محمد زكريا إسماعيل . ط١(دار السقاي:بيروت)٢٠٠٣م . ص٦٧.

الخطر الأخضر الإسلامي بديلاً عن الخطر الأحمر لكن هاليداي وآخرين يرفضون هذا التفسير ويعتبرونه خرافة[٢٧].

عليه يمكن القول بأننا إذا قمنا بمراجعةً تاريخيَّة للفكر الغربي الحقيقي الذي كان سائدًا في نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، تظهر لنا أنَّ بعض الكتاب الكبار كانوا يتحدَّثون عن الإسلام، والمسلمين، ونبي الإسلام، بكل تقدير واحترام، وفخر واعتزاز، فمثلاً نجد كاتبًا كبيرًا مثل توماس كارليل الذي يعتبر أكبر عقليَّة إنجليزية بعد شكسبير يضع الرَّسول الكريم وسيرته في كتابه (الأبطال)، ويصفه بأعظم الأوصاف العظيمة، يقول عنه: (لا شيء أكبر دلالة على صدق نُبُوة محمد من أنْ يؤسس ديانةً يجد فيها نحو مائتي مليون من الأنفس غذاءهم الرُّوحي، وتقاوم عوامل التحليل في مدى أكثر من اثني عشر قرنًا، ثم علينا ألاَّ ننسى شيئًا، وهو أن محمدًا لم يتلق درسًا من أستاذ، ويظهر لي أن الحقيقة أن محمدًا لم يكن يعرف الخط والقراءة، وكل ما تعلمه هو عيشه في الصَّحراء وأحوالها، وكل ما وفق لمعرفته هو ما أمكن أنْ يشاهد بعينيه، وأن يتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهائيَّة، وعجيب والله أُمِّيَّة محمد)[٢٨].

كذلك نجد الكاتب الأمريكي الكبير مايكل هارت أستاذ الرياضيات والفيزياء والفلك في هيئة الفضاء الأمريكيَّة، حينما كتب كتابه عن (العظماء المائة أو الخالدون المائة) – يجعل الرسول الكريم في مُقدمة كتابه، ويمدحه مدحًا مناسبًا، كأعظم رجل في التَّاريخ، ويقول عنه:(لقد اخترت محمدًا في أول هذه القائمة، ولا بد أنْ يدهش كثيرون لهذا الاختيار، ومعهم حق في ذلك؛ ولكنَّ محمدًا هو

---

[٢٧] انظر: معتز الخطيب. الغضب الإسلامي ! تفكيك العنف...دراسة نقدية. مرجع سابق. ص٩٧.

[٢٨] انظر: محمد الصادق عرجون. محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ط١ (دار القلم: دمشق). ١٤٠٥هـ. ص٢٠.

الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحًا مطلقًا على المستوى الديني والدنيوي، وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره، كواحد من أعظم الدِّيانات، وأصبح قائدًا سياسيًّا وعسكريًّا ودينيًّا، وبعد ثلاثة عشر قرنًا من وفاته، فإنَّ أثر محمدٍ ما يزال قويًّا متجددًا، لقد كان الرسول على خلاف عيسى – عليه السلام – رجلاً دنيويًّا، فكان زوجًا وأبًا، وكان يعمل في التجارة، ويَرعى الغنم، وكان يُحارب ويُصاب في الحروب ويَمرض، ولما كان الرسول قُوَّة جبارة، فيمكن أنْ يقالَ أيضًا: إنَّه أعظم سياسي عرفه التاريخ – ويضيف: فهذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذي جعلني أُومن أنَّ محمدًا أعظم الشخصيات أثرًا في تاريخ الإنسانيَّة كلها)[٢٩].

إذا أردنا أن نعرف شيئاً بسيطاً من عظمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأثره في واقع هذه الدنيا وفي حياة الإنسَانية جمعاء ؛ فلننظر إِلَى واقع الأمم التي بُعث فيها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكيف كَانَ العالم قبيل مبعثه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إن أي مؤرخ مُنصف يقرأ ويتتبع حال العالم قبل بعثته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ حال العالم بعد أن عمَّ عليه نور الإسلام، فسيجد أن هذا نبي حقاً من عند الله، وليس بمفتر؛ بل سيجد أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم الخلق منّةً عَلَى البشر، وعلى الإنسَانية جمعاء، وعلى سائر الحضارات.

٣. المسلمون والغرب:

إذا رجعنا إلي الخلفية التاريخية التي تحكم العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب، نجدها مبنية علي كراهية الآخر ولها أسبابها.

فمن العوامل المؤثرة في كراهية الإسلام تزايد هجرة المسلمين إلي الغرب، خاصة خلال الستينيات من القرن العشرين والتي أثارت نقاشات اقتصادية واجتماعية في بداية الأمر، لكن منذ بداية الثمانينيات . بعد الثورة الإسلامية الإيرانية . أخذ الإعلام يربط بين تلك النقاشات وبين ثقافة وديانة هؤلاء المهاجرين،

[٢٩] محمد رسول الله . المصدر السابق . ص٥٧.

فبرز النقاش حول ما إذا كانت قيم وثقافة هؤلاء تنسجم مع الثقافة الغربية، وفي هذا السياق تبرز مسائل عديدة من قبيل الحجاب وتعدد الزوجات وختان الإناث وإنشاء مدارس إسلامية إلي غير ذلك، بل إن الأمر لاحقاً تجاوز تلك النقاشات إلي مسائل الولاء والمواطنة ومدي تأثير الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي علي المسلمين داخل الاتحاد الأوربي، ثم جاءت أحداث سبتمبر فأدت إلي طرح مسألة الولاء للوطن بقوة، بل إن هنتنغتون قدم أطروحته الثانية عما أسماه الهوية (الهوية الأمريكية) التي يجب الحفاظ عليها، والتي تقوم علي ركائز أربع أساسية، هي العرق الأبيض، والأثنية الإنجليزية والدين المسيحي البروتستانتي، والثقافة الإنجليزية البروتستانتية[٣٠].

إن موقف الغرب السلبي من المهاجرين المسلمين في أوربا يعود لسببين: أحدهما: هو الأهم الاختلاف العرقي، والعداء المتصاعد للمسلمين هناك يعود لرفض مجموعات معينة تقبل حقيقة أن مختلف بلدان أوربا الغربية أصبحت دول هجرة، ومن ثم تخشي أن تفقد الإطار الثقافي في ظل التعددية الثقافية التي تتفاعل داخلها ونشأة التمايزات، والسبب الثاني: لتدهور الموقف الغربي من المسلمين يمكن أن يعزي لتحريف إحصائي كما في بلدان أوربا حيث ظهر تزايد علماني وتزايد عدد المسلمين أيضاً، ويتناقص عدد أعضاء الكنيسة، وهذا يزيد من مخاوف الأسلمة في الغرب[٣١].

وكان فريد هاليداي خصص فصلاً كاملاً لعداء الغرب للمسلمين رافضاً مقولة الإسلاموفوبيا والتي تعني خوف أو عداء الغربيين للإسلام، فهو يري أنه ليس هناك عداء للإسلام كدين في الغرب، بالمعني الصليبي للكلمة، رغم وجود بعض

---

٣٠ Samuel p. Huntingtonk ,who Are we: The Challences to Americas Natioal Identity , New york: Simon Schuster ٢٠٠٤ .

٣١ انظر: شديد وكوننغسفيلد . الصورة السلبية . ص٣٨-٣٩.

تسريبات الإرث التاريخي والتصورات المتوارثة، لكن الأهم والسائد في رأيه هو موجات العداء للمسلمين كناس وليس للإسلام كدين ونظرية، وهو عداء ذو جذر سياسي واجتماعي وليس ثقافياً دينياً، وأغلب العداء مرتبط بالمهاجرين والظروف الاقتصادية، وإلي حد ما هنالك الجهل والتجهيل الذي أثارته نظرية(الإسلام الخطر البديل عن الشيوعية) بحسب رأي هاليدي[٣٢].

وإذا ما حاولنا أنْ نفهمَ بعضَ تحليلاتِهم لأسباب خوفهم من الإسلام عَبْرَ تحليلهم للإسلام المخيف، وجدنا ذلك في قول مسئول في وزارة الخارجيَّة الفرنسية عام ١٩٥٢م ؛ حيث يقول:(ليست الشيوعية خطرًا على أوروبا فيما يبدو لي، إنَّ الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدًا مباشرًا وعنيفًا هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يمتلكون تراثَهم الرُّوحي الخاص بهم، ويتمتعون بحضارة تاريخيَّة ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا قواعدَ عالم جديد، دون حاجة إلى إذابة شخصيَّتهم الحضارية والرُّوحية في الحضارة الغربية، فإذا تهيأت لهم أسباب الإنتاج الصِّناعي في نطاقه الواسع، انطلقوا في العالم يَحملون تراثهم الحضاري الثَّمين، وانتشروا في الأرض يزيلون منها قواعد الحضارة الغربية، ويقذفون برسالتها إلى متاحف التَّاريخ، وقد حاولنا – نحن الفرنسيين – خلال حكمنا الطَّويل للجزائر أنْ نتغلبَ على شخصية الشَّعب المسلمة، فكان الإخفاق الكامل نتيجة مجهوداتنا الكبيرة الضَّخمة.إن العالم الإسلامي عملاق مقيد، عملاق لم يكتشف نفسه حتَّى الآن اكتشافًا تامًّا، فهو حائر، وهو قلق، وهو كاره لانحطاطه وتخلفه، وراغب رغبة يُخالطها الكسل والفوضى في مستقبل أحسن وحرية أوفر، فلنعطِ هذا العالم الإسلامي ما يشاء، ولنقوِّ في نفسه الرَّغبة في عدم الإنتاج الصناعي والفني؛ حتَّى لا ينهض، فإذا

---

[٣٢] فريد هاليداي . ترجمة عبد الإله النعيمي . ساعتان هزتا العالم: (١١ أيلول) – ط١(دار الساقي: بيروت)٢٠٠٢م . ص٩٧.

عجزنا عن تحقيق هذا الهدف بإبقاء المسلم متخلفًا، وتحرر العملاق من قيود جَهْله، وعقدة الشُّعور بعجزه، فقد بُؤنا بإخفاق خطير، وأصبح خطرُ العالم العربي وما وراءه من الطاقات الإسلاميَّة الضخمة خطرًا داهمًا، ينتهي به الغرب، وتنتهي معه وظيفته الحضارية كقائد للعالم)[٣٣].ويقول أشعيا بومان في مقالٍ نشر في مجلة الإسلامي التبشيرية:(إن شيئًا من الخوف يجب أن يسيطرَ على العالم الغربي من الإسلام؛ لهذا الخوف أسباب؛ منها أنَّ الإسلامَ منذ ظهر في مكة لم يضعف عدديًا، بل أتباعه يزيدون، ومن أسباب الخوف أنَّ هذا الدين من أركانه الجهاد)[٣٤].

عليهم أن يعلموا بأنه لا بد أن يأتي اليوم إن شاء الله الذي يرفع فيه جميع الحواجز التي وضعها المرجفون الجاهلون والكافرون الجاحدون لقمع انتشار الإسلام دين الهدى والحق، وإن لا سعادة إلا في الإسلام، وقيمه الأصيلة، وعقيدته الصافية، وشريعته العادلة. وما زالت الدنيا مفتوحة بقدر للعلماء العاملين، والدعاة المخلصين الذين يبلغونه بالحكمة والموعظة الحسنة والقدوة الحسنة، وعليهم أن يعلموا أن الله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ،وأن من كتبت له الهداية لابد له أن يهتدي مهما كانت العوائق والعقبات.

٤. الإرهاب:

بعد الرجوع إلي كتب اللغة العربية لمعرفة معني لفظ إرهاب وجدنا هذا اللفظ ًيشتق من الفعل المزيد (أرهب) ؛ ويقال أرهب فلانا: أي خوَّفه وفزَّعه، وهو المعنى نفسه الذي يدل عليه الفعل المضعف (رَهّبَ). أما الفعل المجرد من المادة نفسها وهو (رَهِبَ)، يَرْهبُ رَهْبَةً ورَهْبًا ورَهَباً فيعني خاف، فيقال: رَهِبَ الشيء

[٣٣] محمد جلال كشك . القومية والغزو الفكري . مصدر سابق . ص٤٢.

[٣٤] د. مصطفى خالدية، د. عمر فروخ . التبشير والاستعمار في البلاد العربية . ط٢(المكتبة العصرية، بيروت) ١٩٨٣م . ص١٣١.

رهبا ورهبة أي خافه. والرهبة: الخوف والفزع. أما الفعل المزيد بالتاء وهو (تَرَهَّبَ) فيعني انقطع للعبادة في صومعته، ويشتق منه الراهب والراهبة والرهبنة والرهبانية، وكذلك يستعمل الفعل تَرَهَّبَ بمعنى توعد إذا كان متعديا فيقال ترهب فلانا: أي توعده. وأرهَبَه ورهَّبَه واستَرْهَبَه: أخافَه وفزَّعه. وتَرَهَّب الرجل: إذا صار راهبًا يخشى الله. والراهب: المُتَعَبِّد في الصومعة[٣٥].

وفي اللغات الأجنبية؛ أتت كلمة (الرهبة) من اللغة اللاتينية، وبعد أن ضربت بجذورها في لغات المجموعة اللاتينية، انتقلت فيما بعد إلى لغات أوروبية أخرى؛ فهي في اللغة الفرنسية (Terreur)، وفي اللغة الإنجليزية (Terror)، وقد عرّفها (قاموس المورد) بمعان تندرج في ثلاث مجموعات: الأولى: تنتظم المعاني الآتية: رُعب، فظاعة. وفي المجموعة الثانية: كلُّ ما يوقع الرعب في النفوس، ومظهر رهيب، ومصدر قلق، وشخص أو شيء مروع، وبخاصة طفل مزعج. وجاءت المعاني الآتية في المجموعة الثالثة: الإرهاب، وعهد الإرهاب. وفيه أيضاً: (Terrorism) إرهاب، ذعر ناشئ عن الإرهاب. وكذلك: (Terrorist) الإرهابي. و (Terrorize): يرهب، يروِّع، يكرهه على الإرهاب، أو يأمره به[٣٦].

وأما تعريف الإرهاب في الاصطلاح ليس هناك حتى الآن تعريف واضح له، وإنما هو مطية تمتطيها القوى الدولية ليحققوا أطماعهم وأغراضهم، والخلط بين المقاومة والإرهاب إنما هو وسيلة خبيثة لمحاصرة المقاومة الجهادية وإنهائها. وقد

---

٣٥ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) . لسان العرب . المجلد الأول . (دار صادر ودار بيروت: بيروت) ١٩٥٥م . ١٣٧٤ هـ . ص ٤٣٦-٤٣٩. وانظر: الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) . القاموس المحيط . ط٢(مؤسسة الرسالة، بيروت) ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧م . باب الباء فصل الراء. ص ١١٨.

٣٦ منير البعلبكي . المورد: قاموس عربي إنجليزي . (دار العلم للملايين) ١٩٩٤م . ص٩٦٠.

صدر في تحديده بيان عن مجمع الفقه الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي بمكة في دورته السادسة عشرة ، المنعقدة في شوال من عام ١٤٢٣هـ بمكة المكرمة ، حيث حدَّدوا الإرهاب بتحديد سبقوا به جهات عالمية عديدة غالطت في معناه ودلالاته ، وجاء في بيانهم أن:(الإرهاب هو العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغيا على الإنسان في دينه ، ودمه ، وعقله ، وماله ، وعرضه ، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق ، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق ، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد يقع تنفيذا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم، أو حريتهم، أو أمنهم، أو أقوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد مرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية، أو الطبيعية للخطر)[٣٧]. فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله سبحانه تعالى المسلمين عنها قال تعالى: (وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (القصص: ٧٧).

لو تحدثنا عن أحداث ١١/سبتمبر/٢٠٠١م، نجد جنسية مرتكبي هذه التفجيرات المفترضين استنهضت المخزون الثقافي والصورة النمطية للإسلام والمسلمين، وحولت الاتهام إلي الإسلام نفسه، وأثارت التساؤلات عن هذا الدين الذي يبيح لمعتنقيه مثل هذه الأعمال الوحشية، وفي هذا كتب إدوارد سعيد، قائلاً: (قد أتمني أن أقول: إن الفهم العام للشرق الأوسط وللعرب وللإسلام في أمريكا قد تحسن بعد ٩/١١، ولكنه لم يتحسن.. إن رفوف المكتبات الأمريكية بعد

---

[٣٧] ينظر البيان الصادر من مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي بمكة في دورته ١٦، المنشور في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية . ونص البيان منشور علي شبكة الإنترنت.

١١/سبتمبر امتلأت بكتب مليئة بعناوين مهلهلة صارخة عن الإسلام والإرهاب والتهديد العربي والخطر الإسلامي)[٣٨].

وعن تلك الأحداث قال شاريل بنيارد:((بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م مباشرةً بدأ السياسيون وصناع القرار في الغرب بالإدلاء بتصريحات تؤكد قناعتهم بأن الإسلام ليس ملوماً فيما حدث، ذلك لأن الإسلام قوة إيجابية في العالم، وكان ديناً للسلام والتسامح، حيث تحدثوا في المساجد وعقدوا اجتماعات واسعة مع علماء مسلمين، وقاموا بدعوة الشخصيات الدينية الإسلامية البارزة في افتتاح المناسبات العامة، كما استشهدوا بسور قرآنية في خطاباتهم، وأن الصيغة النموذجية لهذا الخطاب الذي يبرئ ساحة الإسلام: خطاب بوش ٢٠٠٢م الذي قال فيه:(إن الإسلام دين يوفر الرفاهية لمليار من البشر حول العالم...لقد آخي الإسلام بين مختلف الأعراق فهو دين قائم علي الحب لا علي الكراهية)..إن هذا النهج لم يكن قاصراً علي الولايات المتحدة بل كان سائداً في أوربا أيضاً، وقد انضم المجتمع الأكاديمي بسرعة إلي هذه الجهود))[٣٩].

لكن لا يمكن تجاهل مواقف بعض قيادات اليمين الأمريكي المتدين تجاه الإسلام، والتي قال عنها ديفيد فروم . أحد كتاب خطابات بوش سابقاً: (إن قيادات اليمين الأمريكي المتدين، الذين يمثلون أقوي القواعد الجماهيرية المساندة لبوش، شعروا بغضب شديد تجاه موقف بوش من الإسلام والمسلمين في أعقاب أحداث سبتمبر لأن بوش وصف الإسلام بأنه دين سلام)[٤٠]، وتقول جويس ديفس:(إن

---

[٣٨] الكلام جزء من مقدمته الجديدة لكتاب الاستشراق . التي نشرتها الجارديان بتاريخ ٢/٨/٢٠٠٣م.

[٣٩] شاريل بنيارد . الإسلام الديمقراطي المدني:الشركاء والمصادر والاستراتيجيات . (مؤسسة رائد) ٢٠٠٣م . ص١٧-١٨.

[٤٠] ديفيد فيروم . الرجل المناسب: الرئاسة المفاجئة لجورج دبليو بوش . ٢٠٠٣م.

كلاً من صناع القرار والمواطنين الأمريكيين العاديين لديهم صورة مشوهة عن الإسلام والعالم الإسلامي، وإنه لمن الصعب تغيير هذه الصورة النمطية السلبية، ومن الأصعب تجسير هذه الفجوة المعرفية بين الغرب والإسلام، خصوصاً أن غالبية الأمريكيين يحملون أفكاراً مسبقة معادية للإسلام والمسلمين، لا تجد أي أساس معرفي لها، وتري أن علي الولايات المتحدة أن تحاول الحد من تكرار الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين التي تجعل من المسلمين إرهابيين)[٤١].

الأمر نفسه يؤكده أكبر أحمد عالم الأنثروبولوجيا الذي يري أن الإسلام (تحت الحصار) وهو حصار تفرضه رؤى سياسية وإستراتيجية وإعلامية وأيديولوجيا عامة معادية للإسلام، ويصعب علي دارسي الإسلام خاصة بعد ١١سبتمبر نزعتهم الانتقائية في قراءة الإسلام، وخاصة في حقل الإعلام، ويقول:(إن خبراء الإعلام الجاهزين علي الفور، كلهم مذنبون في مثل هذا الاستخدام الانتقائي للإسلام عموماً وللقرآن الكريم لتدعيم وجهات نظرهم الجاهزة)[٤٢]، ويؤكد كذلك علي أن الرؤية العامة للإسلام تتسم برؤية تبسيطية تحصر الإسلام في العنف والإرهاب بل إن الأنثروبولوجي إيمانويل تود، قال:(إن الإسلام المحافظ شُفر بالغة الدارجة بمفهوم الإرهاب الذي يرغب كثيرون في أن يروه شاملاً جميع العالم)[٤٣].

ومما يزيد الإرهاب استشراء ويعمق الخلاف الخلط بين الإرهاب والمقاومة، فكفاح الشعوب من أجل تحرير نفسها من السيطرة أو التدخل الأجنبي عمل

---

[٤١] أحمد يوسف . مستقبل الإسلام السياسي: وجهات نظر أمريكية . ط١(المركز الثقافي العربي: بيروت) ٢٠٠١م . ص٧٥.

[٤٢] ايمانويل تود؛ ترجمة محمد زكريا إسماعيل . ما بعد الإمبراطورية: دراسة في تفكك النظام الأميركي – ط١ (دار الساقي: بيروت، لبنان) ٢٠٠٣م . ص٦٧.

[٤٣] انظر: إدوارد سعيد . تغطية الإسلام: كيف تتحكم أجهزة الإعلام ويتحكم الخبراء في رؤيتنا لسائر بلدان العالم . ترجمة محمد عناني ط١(دار رؤية: القاهرة) ٢٠٠٥م . ص٨٩.

مشروع في كل الشرائع، ومع ذلك لم تمنح هيئة الأمم المتحدة مشروعية ذلك إلا بعد ضغوط ومداولات، غير أن الأقوى هو الأقدر على تحديد المفاهيم، وليس أدل على ذلك من مقاومة الشعب الفلسطيني الذي اغتصبت أرضه وانتهك عرضه، وسال دمه فنجد الاستنكار من قبل الإعلام الغربي وينظر إلي انتهاكات الجيش الإسرائيلي إلى الدفاع عن النفس. وكيف يقبل عاقل هذه الرؤية الجائرة ؟ وهذه المقاييس المغالطة تسقط هيبة القرارات الدولية، وتدفع بالشعوب المغلوبة على أمرها إلى التنظيمات السرية والمقاومة العنيفة التي قد تطال الأبرياء من رعايا الدول المتواطئة مع الظلم والراعية له.

٥. تأثير وسائل الإعلام:

دور وسائل الإعلام الغربي:الإعلام الغربي بتقنياته الهائلة وتأثيره الواسع من نحت صورة نمطية غاية في السلبية عن الإسلام والمسلمين، صورة تحمل كل صفات القبح والإرهاب والتخلف... وما شئت من النعوت القدحية، إن صناعة الخبر المشوه واستغلاله أيديولوجيًّا لتعبيد الطريق أمام الحملات القادمة على الإسلام قد دخل في أجندة وسائل الإعلام الغربية منذ أمد، فالمتتبع لهذا الإعلام يلاحظ أنه يقوم بتصيد بعض أخطاء المسلمين وينشرها ويعظم من شأنها ويؤكد أن هذا هو الإسلام، فجميع وسائل الإعلام وخاصة الإعلام السينمائي المرئي يصور المسلمين على أنهم مجموعة من البدو يتسمون بالهمجية والتخلف وأنهم مصدر كل بلاء، ولا تمل قنواتهم من عرض نفس الصور النمطية المكررة والمنتقاة بعناية تظهر مشهدًا خلفيًّا لأناس يصلون في العراء، وتجمعات حاشدة تولول وتهدد، ونساء منقبات، ووجوه ملتحية، وأفواه مفتوحة وعيون محلقة.

العدوان الإعلامي الشرس وتصوير الإسلام ونبيه- عليه الصلاة والسلام في صورة مغايرة للحقيقة بالغة البشاعة ومعاكسة تماما، ليست جديدة، بل هي عقيدة غربية موروثة تشكلت ونمت خلال ثمانية قرون منذ القرن الأول وحتى نهاية القرن

الثامن الهجري. قد يظن كثير من المسلمين أن العدوان الغربي على الإسلام وتشويه صورة الرسول محمد– عليه الصلاة والسلام– واختراع صورة بشعة ومعاكسة لحقيقة دين الإسلام ونبيه من طرف وسائل الإعلام في الغرب، لاسيما في أمريكا، من جانب رؤساء بعض الكنائس الإنجيلية أمر جديد حدث بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م وقيام الحرب الصليبية المقنّعة الجديدة التي تقودها الولايات المتحدة ضد الإسلام والمسلمين تحت قناع (الحرب على الإرهاب وإزالة أسلحة الدمار الشامل) والحق أن هذا العدوان الإعلامي الشرس وتصوير الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام في صورة مغايرة بالغة البشاعة ومعاكسة تماما، ليست جديدة، بل هي: عقيدة غربية موروثة تشكلت ونمت خلال ثمانية قرون منذ القرن الأول وحتى نهاية القرن الثامن الهجري. وانتقلت هذه العقيدة كاملة متماسكة عبر القرون لتصل إلى القرون الحديثة والمعاصرة. وأصبحت أشبه بالمستنقع الآسن العفن الذى تغرف منه وسائل الإعلام الغربية وبعض رجال الدين الإنجيليين في أمريكا، وينشرونها عبر وسائلهم المختلفة[٤٤].

ساهم الإعلام الغربي بدوره الأساسي الفاعل في معاضدة القادة والسياسيين، فتحالف معهم في تشويه صورة الإسلام وحركاته، ومبادئه وقيمه، بتقديمها إلى المجتمعات الغربية بأقبح صور الراديكالية والوحشية، والتخلف والعنف. فقد غذّى الإعلام الغربي الرأي العام في الغرب بصور وقصص وروايات عن الإسلام والمسلمين، أصبحت أشد من الكوابيس ضغطاً على عقل وقلب وفكر المواطن الغربي، وأوجد البون الشاسع، والمسافة الكبيرة، في الفكر والممارسة، بين المسلمين والغربيين، وخاصة على صعيد الجنس والحرية الشخصية، ومهد كل

---

[٤٤] حسين حسيني معدى . الرسول صلى الله عليه و آله وسلم في عيون غربية منصفة . ص٥٤ . مصدر سابق.

ذلك أمام السياسيين، مهمة التلاعب بالرأي العام الغربي وتوجيهه، وحشده خلف هذه السياسات الخاطئة في التعامل مع الإسلام والمسلمين[٤٥].

يقول المستشرق الهولندي (رودلف بيترز): (أن اللغة الإعلامية اليومية . للغرب . تكرس الصورة المشوهة، ويساهم في التشويه بعض الفئات المتعلمة والصحافيون. إن نقد صحافتنا أمر واجب، لأنها تمضي بعيداً في تسويق مفهوم خاطئ، وهي تعيد ما قامت به أثناء الحرب الباردة من حماسة زائدة ضد العدو المفترض، وهي تتعاطى مع الأصولية باعتبارها خبراً جذاباً للقارئ، لأنها من ناحية تتبنى العنف والإرهاب، ومن ناحية أخرى تختلف عن الواقع الغربي وتتصارع معه، ويمكن أن تكون نيات بعض الصحفيين طيبة، ولكن يجب أن لا ننسى المقربين من المؤسسات السياسية الحزبية، التي لها مصلحة في التلاعب بالرأي العام وتوجيه. وحتى الصحافي الموضوعي يواجه عوائق مهنية في تغطية الموضوع الإسلامي، فرؤساء التحرير يبحثون عن خبر، والحديث عن الإسلام المعتدل أو المتنور لا يعد خبراً، ولا يجتذب القارئ)[٤٦].

الأكاذيب الكبرى.. يتبعها ناس كثيرون.. عبارة شهيرة لهتلر تنطبق بامتياز علي ما يشهده العالم عما يقال عن إقامة تحالف دولي ضد ما يسمي (الإرهاب الإسلامي)، مما يدل علي وقوع العقل الغربي في أسر عقلية عنصرية تلفيقية متطرفة، تتحدث عن تفوقها الحضاري، وعن قيادة (حرب صليبية) طويلة المدى تعتمد علي إجراءات علنية وأخري سرية.. ضد الإرهاب تحت عنوان (النسر

---

٤٥ يوسف العاصي إبراهيم الطويل . الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور – الممارسة – سبل المواجهة). ط٢(صوت القلم العربي: مصر) . ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م . ج٢ص٦٩.

٤٦ إبراهيم محمد جواد . الإسلام.. الغرب.. وإمكانية الحوار– مجلة النبأ – عدد ٣٩ – ٤ – شعبان، رمضان ١٤٢٠ هـ.

النبيل) وتنتهي (بانتصار الخير علي الشر)، لتحقيق (العدالة الأبدية المطلقة). ليس ذلك فقط بل إن الإعلام الغربي.. وبعض الصحف الغربية أصبحت تنقل عن المباحث الفيدرالية الأمريكية FBI والمخابرات المركزية الأمريكية CIA وكأنها ناطق رسمي باسمها[٤٧]، دون أن تدقق في مصداقية الأدلة رغم سذاجتها وتهافتها[٤٨].

الإعلام الغربي، وهو إعلام يقوم على ترسيخ صور نمطية عن الذات والآخر: الذات باعتبارها رمزا للتقدم والنجاح والتحضر، والآخر باعتباره أقرب إلى التوحش والبدائية وقلة الحضارة. وتقوم وسائل الإعلام في معظم الدول الغربية بالتركيز على العديد من القضايا التي توقظ المشاعر العنصرية في الضمير الأوروبي. فتركيز الإعلام على قضايا اللجوء والهجرة والجماعات المتطرفة في الغرب، وتصوير المجتمعات الأصلية للأقليات العرقية والدينية – التي تعيش في الغرب – باعتبارها مجتمعات للحروب والتخلف والعنف والإرهاب، تصنع هالة من التوجس والخوف والانطواء تجاه الأجنبي (البربري) أو (المتوحش) القادم إلى قلب الجنة الغربية من أجل إفسادها وتدميرها.

وفضلا عن تركيزها على الجوانب السلبية في حياة الأجانب والأقليات العرقية التي تعيش في الغرب، وتهميش صور النجاح والتميز التي يحققها أبناء الأقليات، تعمد بعض وسائل الإعلام الغربية أحيانا إلى تحميل الأجانب مسؤولية الكوارث أو الأزمات التي تعرفها بلدانها. ففي بريطانيا، عمدت صحيفة شعبية – واسعة

---

٤٧ لم يقتصر هذا الأمر على وسائل الإعلام الغربية، بل أن كثير من وسائل الإعلام العربية تبعتها في ذلك.

٤٨ يوسف العاصي إبراهيم الطويل . الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور – الممارسة – سبل المواجهة). ط٢(صوت القلم العربي: مصر) ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م . ج٢ص١٨٤.

الانتشار – إلى تحميل الأجانب مسؤولية مرض الحمى القلاعية الذي ضرب بريطانيا، وتسبب لها في خسائر اقتصادية هائلة حين أرجعت وجود الفيروس إلى أطنان اللحوم التي قالت إنها تُهرّب من أدغال إفريقيا، وتدخل بريطانيا دون رقيب– وهي تحمل أصنافا شتى من الفيروسات والآفات[٤٩].

لقد أسهمت حركات التنصير ومؤسساتها الدينية في التشكيك في الإسلام والطعن في مقدساته، ولا تخفى علينا كتابات كثير من المستشرقين داخل الدوائر الأكاديمية، وانتهاء بقنوات الاتصال ووسائل الإعلام المعاصرة، وكل يلمس تصعيد حملات الدعاية المناوئة للإسلام وتشويه صورته أمام الرأي العالمي بشكل محموم، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، والتي أشعلت جذوة نيران تشتعل تحت كثير من رماد الشبهات المتراكمة ضد الدعوة الإسلامية الحق، وها نحن نسمع كل يوم هذه الإساءات تصب على رؤوس المسلمين وليس آخرها التشويه الكاريكاتوري المسيء لرسولنا الكريم –صلى الله عليه وسلم – المنشور في صحف ومجلات دنماركية ونرويجية، فالتشويه والصمت عن محاسن الإسلام هما السلاحان الرئيسيان لبعض وسائل الإعلام الغربي في تشكيل الرعب الهستيري من الإسلام، بل بلغ الأمر التطاول على مقام سيد الخلق والمرسلين وشتمه علناً من قبل رموز دينية مسيحية ويهودية وأخرى سياسية عبر وسائل الإعلام، بل والدعوة إلى توجيه ضربة عسكرية، انتقامية أو وقائية في إطار ما يسمى بـ(الحرب على الإرهاب)، لهدم الكعبة الشريفة وقصف مكة المكرمة بقنبلة نووية. وظهر

---

[٤٩] جمع وإعداد علي بن نايف الشحود . الخلاصة في فقه الأقليات (١–٩) . الباحث في القرآن والسنة . المكتبة الشاملة . ص٢٦٢.

الصليبيون الجدد بشعارهم القديم والمطالبة برفع الصليب على مقدسات المسلمين وأطلال الحرم المكي بعد تدميره![٥٠].

وتعتبر صورة العرب والمسلمين المشوهة – والمقترنة في الإعلام الغربي بكل ما هو قبيح وسيئ – أحد أبرز المظاهر على دور الإعلام والتعليم ومختلف أجهزة الثقافة الشعبية في إنتاج الكراهية والحقد على العرب والمسلمين لدى الغربيين. وهي الظاهرة التي تعرف اليوم في الدراسات الاجتماعية الغربية باسم (الإسلاموفوبيا)، أي الخوف والتخويف من الإسلام، وتصويره باعتباره بعبعا يهدد الحضارة الغربية.

ولقد أنبأنا القرآن الكريم بهذه الحملات التي تدق طبول الحرب بوسائل الإعلام حيث يقول الله تعالى: (لَتُبْلَوُنّ فِيَ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنّ مِنَ الّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الّذِينَ أَشْرَكُوَاْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتّقُواْ فَإِنّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)(آل عمران: ١٨٦).

---

٥٠ محمد مسعد ياقوت . نبي الرحمة الرسالة والإنسان . ط١(الزهراء للإعلام العربي: القاهرة) ٢٠٠٧م . ج١ص٣٦٣.

المبحث الثالث

الحلول للتخلص من الإسلاموفوبيا

ولتجاوز هذه الظاهرة ومعالجتها لابد من معالجة مجموعة من الأمور على رأسها:

١. إن أهم ما ينبغي على المسلمين فعله خاصة في البلدان الأوروبية هو أن يعكسوا الإسلام الحقيقي في سلوكهم، لأنك مهما حاولت أن تُروِّج لمُثل وأخلاق سامية موجودة في الإسلام، فلن تلقى من الآخر أذنًا صاغية إلا إذا رآها سلوكًا عمليًّا في أرض الواقع.

٢. يحتاج المسلمون إلى آلة إعلامية تضارع الآلة الإعلامية الغربية، فلا يمكن مجابهة ما ينشر في وسائل إعلامهم المجيشة، بالعاطفة والخروج في مسيرات ومظاهرات.. بل لابد من التركيز على إعلام محترف يعمل على التواصل المباشر مع المعنيين، وصياغة سياسة إعلامية تحول دون الاستمرار في إنتاج هذه الصورة، من خلال توضيح الأخطاء وكشف التحيزات... وإن اقتضى الأمر اللجوء إلى القضاء لإيقاف هذه التغطيات المغرضة.

٣. التركيز علي فهم الآخر وفتح باب الحوار: إن مفهوم الحوار بين الحضارات مفهوم إسلامي بحت، إذا ما جعل الخالق الشعوب والقبائل إلا للتعارف والتحاور والتفاعل، وإن الأصل في الحضارات الحوار لا الصراع، وأن على كل طرف أن يلتزم بآداب الحوار وشروطه وضوابطه، ويحترم الطرف الآخر، ويقدر مرجعيته وخصوصيته الثقافية، والإسلام خير حضارة وضعت أسس حوار الحضارات وعززت هذا الحوار على مدار التاريخ الإنساني، كما أن الإسلام يرفض المركزية الحضارية وإلغاء الحضارات الأخرى وإن كانت ضعيفة، كما يرفض أيضاً تهميش الحضارات وسيطرة حضارة واحدة على العالم تعربد فيه، ونقصد بذلك المثل الأخير حضارة الغرب، وسلوكها في الواقع، في جميع مجالات الحياة السياسية

والاقتصادية والأخلاقية. والحوار في الأصل مشروع ؛بل إن الحوار الذي يفيد الطرف الإسلامي على وجه وتترجح مصلحته على مفسدته؛ قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (سورة آل عمران:٦٤). وقوله تعالى:(ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (سورة النحل:١٢٥).وحوار الأديان قضية قديمة، تتجدد مع الزمان. ويزيد من الاهتمام بها ازدياد الإقبال على الإسلام، فتهُبُّ العقائد الأخرى، لاسيَّما النصرانية في محاولة التركيز على نقاط اللقاء[٥١].ومعلوم لدينا أن هذا الحوار قد بدأ مع أول هجرة للمسلمين إلى الحبشة، فحاورهم النجاشي حوارًا يريد منه، أو أراد منه، أن يصل إلى الحق، ولذلك عندما وصل إليه آمن بالبعثة، وتوفي مسلمًا مؤمنًا بالله ورسوله محمَّد (صلى الله عليه وسلم).

٤. السعي لتحقيق الالتحام الحضاري لا الانصهار: إن بيننا وبين الغرب تاريخا متطاولا من التنازع الإيديولوجي والسياسي والعسكري (والديني أحيانا) فضلا عن الممانعات الأخلاقية والفلسفية غير أن هذا التنازع مكتنز أيضا بالكثير من عوامل سوء الفهم المتبادل التي شكلت في بعض الحقب بنية تحتية أو خفائض (وخاصة من جهة الغرب والنخب الغربية)، صالحة للإثارات العدوانية والهروب والتصورات السلبية المقررة سلفا. والدارس الموضوعي، قبل التنافر والتناحر السياسيين والإيديولوجيين وبعدهما، ومن الطرفين.

٥. تطوير الخطاب الإسلامي المعاصر:إن الخطاب الإسلامي المعاصر لم يتمكن من استيعاب أقرب الناس إليه، أو أكثرهم استعدادا للتجاوب معه، وهم جمهور

---

[٥١] صالح بن عبدالله بن حميد. أصول الحوار وآدابه. ـ (جدة: دار المنارة) ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ـ ص٤٠.

المسجد، علاوة عن كسب الآخرين ... فهو خطاب أقرب إلي السلبية، والجزئية، والأحادية، والارتجال، والحماس، والذاتية، منه إلى التفاعل مع هموم الأمة. ولذا لو نظرنا إلى عالمنا الإسلامي اليوم سنجد عجباً، فنحن اليوم يكثر فينا الخطباء، ويغيب عنا الفقهاء، بالمعني العام لكلمة الفقه، لا نزال نفتقد الكوادر البشرية المسلمة المتخصصة والمدربة، على الرغم من هذا التاريخ العريق في الدعوة ومسؤولية البلاغ المبين.

أن الخطاب الإسلامي خطاب شامل، يصل إلى الناس على متن الشمولية، يجمع كل معاني الدين ويغطي كل جوانبه، فلا يقيم جانباً على حساب جانب، ولا يهتم بشأن دون شأن، بل يدعو للدين كله. معاني الدين شاملة جامعة: والدين كلمة جامعة للمعاني العلمية والعملية، اللائي يقمن الحياتين للناس، الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

يحتاج المسلمون إلى آلة إعلامية تضارع الآلة الإعلامية الغربية، فلا يمكن مجابهة ما ينشر في وسائل إعلامهم المجيشة، بالعاطفة والخروج في مسيرات ومظاهرات.. بل لابد من التركيز على إعلام محترف يعمل على التواصل المباشر مع المعنيين، وصياغة سياسة إعلامية تحول دون الاستمرار في إنتاج هذه الصورة، من خلال توضيح الأخطاء وكشف التحيزات... وإن اقتضى الأمر اللجوء إلى القضاء لإيقاف هذه التغطيات المغرضة والمتجزأة.

٦. حل جميع المشكلات الدولية والإقليمية التي تسببت في ظهور عنف الجماعات المسلحة، وهى إشكاليات حقيقية وممتدة على مر الزمان مثل مأساة فلسطين والعراق والصومال.

٧. طباعة ونشر تفسير القرآن الكريم بكل اللغات الغربية، مع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وشرحها، وأيضاً ردود على الانتقادات والاتهامات الأوربية للقرآن والإسلام. وإنتاج أفلام تبين حقيقة الإسلام بجميع اللغات الأوروبية وتوزيعها

بالملايين على الغربيين بجميع جنسياتهم. إعداد أفلام تسجيلية عن معاناة المسلمين في البوسنة وكوسوفا والشيشان وكشمير وجنوب الفلبين وبورما وغيرها.

٨. العمل والمناداة بسن قانون دولي يمنع الإساءة للأديان.

الخاتمة

وتشمل النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

١. الإسلاموفوبيا حاله قديمة بدأت مع ظهور الإسلام، حيث بدأت إرهاصات العداء لصراع الدولة الناشئة في المدينة المنورة.. فالإسلاموفوبيا متواجدة كحالة بين الشرق و الغرب لكنها تأخذ شكلاً جديداً كل عصر..

٢. مفهوم الإسلاموفوبيا يمثل أبلغ دلالة على الموقف العام في الغرب تجاه الإسلام والمسلمين، حيث يعكس بشكل عام انتشار نزعة العداء للمسلمين.

٣. قوة الآلة الإعلامية المعادية للمسلمين مقارنةً بانهيار و تخاذل الآلة الإعلامية المعتمدة على الجهود الذاتية المؤيدة للمسلمين.

٤. ضعف الخطاب الإسلامي المعاصر الذي لم يتمكن من استيعاب أقرب الناس إليه، أو أكثرهم استعدادا للتجاوب معه، وهم جمهور المسلمين، علاوة عن كسب الآخرين، فهو لا يتفاعل مع هموم وتطلعات الأمة، ولا يعكس صورة الإسلام الحقيقة.

ثانياً: التوصيات:

١. إن أهم ما ينبغي على المسلمين فعله كلٌ في موضعه خاصة في البلدان الأوروبية هو أن يعكسوا الإسلام الحقيقي في سلوكهم ومعاملاتهم.

٢. علي الدعاة والفقهاء والعلماء وأصحاب الاختصاص أن يدلوا كل واحد منهم بدلوه في دحض الافتراءات التي تلحق بالإسلام ك(الإرهاب) والعمل علي دحضها، والعمل علي توضيح موقف الإسلام من الإرهاب المذموم، وعدم الخلط بين الجهاد والإرهاب.

٣. العمل علي تطوير الخطاب الإسلامي، الخطاب الشامل الذي يصل إلى جميع الناس الذي ينطلق من شمولية الإسلام، يجمع كل معاني الدين ويغطي كل

جوانبه، فلا يقيم جانباً على حساب جانب، ولا يهتم بشأن دون شأن، بل يدعو للدين كله الخطاب المعاصر الذي يربط الأصل بالعصر.

٤. التركيز علي فهم الآخر وفتح باب الحوار، مع السعي لتحقيق الالتحام الحضاري لا الانصهار الذي لا يشبه المسلم.

٥. يجب العمل على المشاركة الفاعلة في وسائل الإعلام الغربية لبث برامج أو نشر صفحات في جرائد مشهورة مدفوعة الأجر، كما لا ينبغي أن نغفل دور المؤسسات الثقافية ودور النشر والترجمة، فهي مطالبة بتوزيع الكتب والنشرات للتعريف بالإسلام بلغات هؤلاء الذين ضللهم الإعلام الغربي ولا نغفل عما قاله المفكرون المنصفون من الغرب فقد مدحوا شريعة الإسلام وقالوا في نبي الإسلام محمد صلّى الله عليه وسلم قولا عادلا محقا فيا حبذا لو جمعت أقوال هؤلاء وترجمت ووصلت إلى العوام من أهل الغرب.

الهوامش والمراجع:

١. [١] أستاذ مساعد كلية الدعوة الإسلامية – جامعة ام درمان الإسلامية.
٢. [١]مجلة البيان . العدد(١٢٦) . في دائرة الضوء . صراع الحضارات مرة أخرى . د. محمد يحيى . ص٩٢.
٣. [١] محمد عرفات سليمان . إسلاموفوبيا . ٢٦/يناير/٢٠١٠م . مقال منشور علي شبكة الإنترنت.
٤. [١] علاء بيومي . جزور شبكة الإسلاموفوبيا . مقال منشور علي شبكة الإنترنت . بتأريخ ٢٠١٢/١/١٢م.
٥. [١] أنظر لبعض الكلمات المتعلقة „كراهية مجموعات من الناس ذات صلة فيما بينها“ ومصطلح „Islamophobie“ لذى Institut für interdisziplinäre Konflikt- und Gewaltforschung.
٦. [١] Islamophobia: A challenge for us all ملخص في ملف (PDF).
٧. [١] انظر: محمد علي الخالدي. إنسان بأصوات متعدِّدة.. http://www.mafhoum.com/p r ess٦/١٦٤C٣٧٢.htm
٨. [١] معتز الخطيب . الغضب الإسلامي ! تفكيك العنف...دراسة نقدية . (دار الفكر :دمشق) ص١٠٩.
٩. [١] انظر: واصف شديد . و سجورد فان كوننغسفيلد . الصورة السلبية للإسلام والمسلمين في الغرب . (بيروت) مجلة الحياة الطبية . عدد(٢٠) ٢٠٠٦م . ص٤٥.
١٠. [١] انظر:مكسيم ردونسون . الصورة الغربية والدراسات الغربية الاسلامية . تصنيف تراث الاسلام . ترجمة السمهوري ومؤنس والعمد . ط٣(عالم المعرفة) ١٩٩٨م . ج١ص٣١.
١١. [١] فرد دونر . اتجاهات الكتابة الغربية عن تاريخ الإسلام قراءة نقدية . (سلطنة عمان) مجلة التسامح . عدد(٨) ٢٠٠٤م . ص٢٣٦.٢٣٨.
١٢. [١] صوفي بسيس . الغرب والآخرون..قصة هيمنة . ترجمة نبيل سعد . ط١ (دار العالم الثالث: القاهرة) ٢٠٠٢م . ص١٩٠.
١٣. [١] انظر: برونس لورنس . تحطيم الأسطورة . ص٢٢. ٢٣، الذي ينتقد ذلك.
١٤. [١] انظر: رضوان السيد . الصراع علي الإسلام . ط٢(دار الكتاب العربي: بيروت) ٢٠٠٥م . ص١٤٢، أما فيما يخص مقولة الخطر الإسلامي، فانظر مثلاً:فرد

هاليداي . الإسلام والغرب.. خرافة المواجهة: الدين والسياسة في الشرق الأوسط، ترجمة عبدالاله النعيمي . ط١(دار الساقي:بيروت)، وجون أسبوزيتو . التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة ؟، ترجمة قاسم عبده قاسم . ط١(دار الشروق: القاهرة) ٢٠٠٢م.

١٥. [١] إدوارد سعيد . الاستشراق . ص٥٢٠-٥٢١، أما برنارد لويس فيقر بأن دراسة الإسلام كانت لهدفين: حماية المسيحيين من التحول إلي الإسلام، ولإرسال البعثات التبشيرية المضادة لتحول المسلمين إلي المسيحية، لكن مع انتهاء العصور الوسطي، أصبح جلياً تماماً أن الهدف الأول لم يعد له ضرورة وأن الهف الثاني يستحيل تحقيقه، برنارد لويس . الإسلام في التاريخ . ص ١٨٩.

١٦. [١] انظر: عبدالرحمن بدوي . دور العرب في تكوين الفكر الأوربي . ط١(مكتبة الأسرة: القاهرة) ٢٠٠٤م . ص١٢٣.

١٧. [١] معتز الخطيب . مقال بعنوان:(ظاهرة كراهية الإسلام..الجذور والحلول) . مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث . المجلد(٥) . العدد(١٧) ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م . ص٥٢.

١٨. [١] تيري هنتش . الشرق المتخيل:رؤية الغرب الي الشرق المتوسطي . ترجمة غازي برو، وخليل خليل . ط١(دار الفارابي: بيروت) ٢٠٠٤م . ص٢٥١.

١٩. [١] انظر: أوليفية روا . تجربة الإسلام السياسي . ترجمة نصير مروة . ط٢(دار الساقي: بيروت) ١٩٩٦م . ص٢٩.

٢٠. [١] انظر: واصف شديد، وسجورد فان . الصورة السلبية للإسلام والمسلمين في الغرب . مجلة الحياة الطبية، بيروت . العدد(٢٠) ٢٠٠٦م . ص٢٩.

٢١. [١] انظر: واصف شديد، وسجورد فان . الصورة السلبية للإسلام والمسلمين في الغرب . المصدر السابق . ص٢٨.

٢٢. [١] محمد البهي . الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي (دار الفكر – بيروت) ١٩٧٣م . ص١٨.

٢٣. [١] محمد جلال كشك . القومية والغزو الفكري (مكتبة الأمل)١٩٦٧م . ص١٩٦.

٢٤. [١] حسين حسيني معدى . الرسول صلى الله عليه وآلة وسلم في عيون غربية منصفة . ط١(دار الكتاب العربي: دمشق) ١٤١٩م . ص٥٤.

٢٥. [١] صمويل هنتنغتون . صدام الحضارات . ترجمة: جميل حماد . ط٣ (بيروت، لبنان)١٩٩٨ م . ص٥٥.

٢٦. [١] إيمانويل تود . ما بعد الامبراطورية: دراسة في تفكك النظام الأمريكي . ترجمة محمد زكريا إسماعيل . ط١(دار السقاي:بيروت)٢٠٠٣م . ص٦٧.

٢٧. [١] انظر: معتز الخطيب . الغضب الإسلامي ! تفكيك العنف...دراسة نقدية . مرجع سابق . ص٩٧.

٢٨. [١] انظر: محمد الصادق عرجون . محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ط١ (دار القلم: دمشق). ١٤٠٥هـ . ص٢٠.

٢٩. [١] محمد رسول الله . المصدر السابق . ص٥٧.

٣٠. [١] Samuel p. Huntingtonk ,who Are we: The Challences to . Americas Natioal Identity , New york: Simon Schuster ٢٠٠٤

٣١. [١] انظر: شديد وكوننغسفيلد . الصورة السلبية . ص٣٨-٣٩.

٣٢. [١] فريد هاليداي . ترجمة عبد الاله النعيمي . ساعتان هزتا العالم: (١١ أيلول) – ط١(دار الساقي: بيروت)٢٠٠٢م . ص٩٧.

٣٣. [١] محمد جلال كشك . القومية والغزو الفكري . مصدر سابق . ص٤٢.

٣٤. [١] د. مصطفى خالدية، د. عمر فروخ . التبشير والاستعمار في البلاد العربية . ط٢(المكتبة العصرية، بيروت) ١٩٨٣م . ص١٣١.

٣٥. [١] ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) . لسان العرب . المجلد الأول . (دار صادر ودار بيروت: بيروت) ١٩٥٥م . ١٣٧٤ هـ . ص ٤٣٦-٤٣٩. وانظر: الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) . القاموس المحيط . ط٢(مؤسسة الرسالة، بيروت) ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧م . باب الباء فصل الراء. ص ١١٨.

٣٦. [١] منير البعلبكي . المورد: قاموس عربي إنجليزي . (دار العلم للملايين) ١٩٩٤م . ص٩٦٠.

٣٧. [١] ينظر البيان الصادر من مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي بمكة في دورته ١٦، المنشور في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية . ونص البيان منشور علي شبكة الإنترنت.

٣٨. [١] الكلام جزء من مقدمته الجديدة لكتاب الاستشراق . التي نشرتها الجارديان بتاريخ ٢٠٠٣/٨/٢م.

٣٩. [١] شاريل بنيارد . الإسلام الديمقراطي المدني:الشركاء والمصادر والاستراتيجيات . (مؤسسة رائد) ٢٠٠٣م . ص١٧ـ١٨.

٤٠. [١]ديفيد فيروم . الرجل المناسب: الرئاسة المفاجئة لجورج دبليو بوش . ٢٠٠٣م.

٤١. [١] أحمد يوسف . مستقبل الإسلام السياسي: وجهات نظر أمريكية . ط١(المركز الثقافي العربي: بيروت) ٢٠٠١م . ص٧٥.

٤٢. [١] ايمانويل تود؛ ترجمة محمد زكريا إسماعيل . ما بعد الامبراطورية: دراسة في تفكك النظام الاميركي – ط١ (دار الساقي: بيروت، لبنان) ٢٠٠٣م . ص٦٧.

٤٣. [١] انظر: إدوارد سعيد . تغطية الإسلام: كيف تتحكم أجهزة الإعلام ويتحكم الخبراء في رؤيتنا لسائر بلدان العالم . ترجمة محمد عناني ط١(دار رؤية: القاهرة) ٢٠٠٥م . ص٨٩.

٤٤. [١] حسين حسيني معدى . الرسول صلى الله عليه و آله وسلم في عيون غربية منصفة . ص٥٤ . مصدر سابق.

٤٥. [١] يوسف العاصي إبراهيم الطويل . الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور – الممارسة – سبل المواجهة). ط٢(صوت القلم العربي: مصر) . ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م . ج٢ص٦٩.

٤٦. [١] ابراهيم محمد جواد . الإسلام.. الغرب.. وإمكانية الحوار– مجلة النبأ – عدد ٣٩ – ٤ – شعبان، رمضان ١٤٢٠ هـ.

٤٧. [١] لم يقتصر هذا الأمر على وسائل الإعلام الغربية، بل أن كثير من وسائل الإعلام العربية تبعتها في ذلك.

٤٨. [١] يوسف العاصي إبراهيم الطويل . الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور – الممارسة – سبل المواجهة). ط٢(صوت القلم العربي: مصر) ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م . ج٢ص١٨٤.

٤٩. [١] جمع وإعداد علي بن نايف الشحود . الخلاصة في فقه الأقليات (١–٩) . الباحث في القرآن والسنة . المكتبة الشاملة . ص٢٦٢.

٥٠. [١] محمد مسعد ياقوت . نبي الرحمة الرسالة والإنسان . ط١(الزهراء للإعلام العربي: القاهرة) ٢٠٠٧م . ج١ص٣٦٣.

٥١.[١] صالح بن عبدالله بن حميد. أصول الحوار وآدابه. ـ (جدة: دار المنارة) ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ـ ص٤٠.